المدرسة البصرية
«أصولها لدى الأوائل»

ذهب الدارسون في عصرنا إلى أن البصريين أخذوا بالقياس كما أخذوا بالسماع. إننا نلمح هذا في نقضهم لمسائل الكوفيين، فقد أبوا أن يستدلوا بشاهد لم يعرف قائله، وحملوا كثيراً من الشواهد التي خرجت على المسموع الشائع في أنها شاذة أو أنها ضرورة، وعلى ذلك لا يمكن أن تكون أساساً في حكم.

وهم في ذلك قد ذهبوا إلى أن الكوفيين أخذوا كل ما سمعوا عن العرب فجعلوه أصلاً يقاس عليه. وكأنهم أرادوا أن يقولوا: إن الكوفيين لم يتوثقوا مما اعتمدوه أصلاً، فقد قاسوا على النادر والشاذ، ولم يتحرّوا صحة ما يصل إليهم من مواد، وسنرى مبلغ هذا الذي ذهبوا إليه في المادة النحوية القديمة التي وصلت إلينا عن البصريين والكوفيين.

لقد كان عبد الله بن أبي إسحاق شديد التجريد في القياس[1]، سريعاً إلى تخطئة المعربين إذا خرجوا عن المألوف في كلام العرب، فقد أخذ على الفرزدق خروجه على العربية، والخبر المتداول متعالم[2]. ومثل عبد الله هذا عيسى بن عمر الذي تجاوز هذا الحد فراح يتعقب

---

(١) نزهة الألباء ص ٢٦.

(٢) المصدر السابق ص ٢٧ ـ ٢٨.